



د. محمد ياسر زكور ❁

(غاية الغرض في معالجة المرض) نموذجاً

الحكمة ضالة المؤمن، أخذها أينما وجدها، والحضارة العربية الإسلامية بدأت بالترجمة عن اللغات الأخرى؛ اليونانية والهندية والقبطية والسريانية وغيرها...، كما هو معروف، وتأثرت بها وطورتها وأضافت إليها الكثير من العلوم والاكتشافات، وامتزجت الحضارات وانصهرت كلها في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية، فتلتها فترة ظهور إبداعات العرب في العلوم

❁ باحث في تاريخ العلوم الطبية - سورية.

كافة، والتصانيف الغزيرة التي أمدّت العالم بحضارة هي فريدة عصرها، حتى غدا الكثير من العلماء المنحدرين من جنسيات غير عربية يكتبون ويتعلمون ويعلمون باللغة العربية، هذه اللغة التي أضاءت الكون بإشعاع حضارتها وغزارة مفرداتها في التعبير عن كل ما يكنّه العقل.

وحركة الترجمة التي بدأها ماسرجويه البصري في عصر مروان بن الحكم، والتي بلغت أوجها وازدهرت في عصر المأمون على يد ابن ماسويه وحُنين وهلال الحمصي... وغيرهم، هذه الترجمات يبدو أنها لم تتوقف على الرغم من غزارة التواليف العربية، وخصوصاً عندما يكون الكتاب مهماً، غزيراً في معلوماته، غني الفائدة.

أما في بداية عصر التباطؤ وشح المؤلفات العربية في ظل الحكم العثماني، وبداية النهضة الأوروبية، فلم تعدم بعض المؤلفات بين حين وآخر، إضافة إلى ترجمة الكتب المهمة عن اللغات الأخرى إلى العربية، كما بدأت الترجمة من اللاتينية أيضاً، بعد أن كانت جل المؤلفات العربية تترجم إلى اللاتينية وغيرها. وكان هناك الكثير من الكتب التي ترجمت من الفارسية إلى العربية، فمثلاً من أوائل هذه الكتب كان كتاب «الذخيرة الخوارزمشاهية» للشريف شرف الدين إسماعيل الجرجاني الخوارزمشاهي (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م).

والآن سوف نقدم كتابنا هذا موضوع البحث، والذي كان يحمل عنوان «المنهج» لنجيب الدين محمد بن علي السمرقندي، ثم وضع له عنوان آخر بعد ترجمته إلى العربية باسم «غاية الغرض في معالجة المرض» والذي ترجمه الشريف منصور الحسيني الحسني.

مخطوط

«غاية الغرض في معالجة المرض»

إن المؤلِّف الأساسي لهذا الكتاب هو نجيب الدين السمرقندي، صاحب المؤلفات العديدة باللغة العربية، لم نجد له في كتب التراجم ما يشير إلى أي من المؤلفات بغير اللغة العربية إلا كتابه هذا المسمى «المَنْهَج» والذي هو مؤلف على ما يبدو باللغة الفارسية، لغة أهل سمرقند وخراسان، التي عاش فيها، وهذا الكتاب لم تذكره المصادر التي تحدثت عن السمرقندي، وإنما أخذ اسمه من المخطوط ذاته.

والكتاب لأهميته ترجم إلى العربية من قبل الشريف منصور الحسيني الحسني، الطبيب الذي بدوره لم نجد له ترجمة خاصة في كتب التراجم، وإنما استقينا المعلومات عنه من المخطوط الذي بين أيدينا، والذي قمنا

بتحقيقه أيضاً، والذي تحول فيه العنوان إلى «غاية الغرض في معالجة المرض».

ولا عجب من ذلك، فالكثير من المخطوطات، والكثير من الأعلام ما زلنا نجهلهم، والكثير منهم ليس لدينا معلومات عنهم إلا من خلال مخطوطاتهم التي ألّفوها، وكنت قد قدّمت في ندوات سابقة أعلاماً وكتباً لم نكن نعرفهم لولا دراسة المخطوطات التي ألّفوها، مثل علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي من خلال كتابه «تشريح العين ومداواة أعلالها»، وجمال الدين محمد ابن إبراهيم الماريني من كتابه «الرسالة الشهابية في الصناعة الطبية»، واليوم أقدم هذا الكتاب نموذجاً لأحد الكتب المترجمة إلى العربية، والكتاب لم يكن معروفاً لنا من قبل، ومترجمه كذلك.

وبداية سنقدم لمحة عن مؤلف الكتاب الأساسي، ثم مترجمه.

نجيب الدين السَّمَرْقَنْدي[1]

(توفي ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)

هو نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السَّمَرْقَنْدي، ذكره ابن أبي أصيبعة بين طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم، وقال: «إنه طبيب فاضل بارع وله كتب جليلة وتصانيف مشهورة، وقتل مع جملة الناس الذين قتلوا بمدينة هَراة لما دخلها التتر، وكان معاصراً لفخر الدين الرازي بن الخطيب[2]».

عاش نجيب الدين السمرقندي في هَراة؛ وهي من أمهات مدن خراسان، زارها ياقوت الحمَوي سنة ٦٠٧هـ وقال إنه لم يرَ أجمل ولا أعظم منها، هاجمها الكفار من التتر سنة ٦١٨هـ فخربوها. وتوفي السمرقندي شهيداً فيها سنة ٦١٩هـ. ويقول الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: «النجيب أبو حامد السمرقندي الطبيب، نزيل هَراة...». وهذا يشير إلى أن معظم حياة السمرقندي كانت في هَراة.

مؤلفاته[3]:

ذكر ابن أبي أصيبعة من مؤلفاته بقوله: «ولنجيب الدين السمرقندي من الكتب:

١- كتاب أغذية المرضى وقسمه على حسب ما يحتاج إليه في التغذية لكل واحد من سائر الأمراض.

٢- كتاب الأسباب والعلامات (أو النجيبيات في الطب) جمعه لنفسه ونقله من القانون لأبي علي بن سينا، ومن المعالجات البقراطية لأحمد بن محمد الطبري، ومن كامل الصناعة لعلي بن عباس المجوسي، ويذكر فيه أسباب الأمراض وعلاماتها ومعالجتها، وكيفية استخلاص الدواء من النبات. وللكتاب ثماني عشرة نسخة خطية

في مكتبات العالم، كما أحصاها زهير حميدان في أعلام الحضارة.

٣- كتاب الأقرباذين الكبير.

٤- كتاب الأقرباذين الصغير.

وأضاف على تلك المؤلفات البغدادي في هدية العارفين:

٥- أصول التراكيب في الطب.

٦- الأغذية والأشربة للأصحاء.

٧- رسالة في مداواة وجع المفاصل، وغير ذلك.

وذكر خير الدين الزركلي من مؤلفات السمرقندي، واعتماداً على ما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي بين مؤلفات نجيب الدين السمرقندي:

٨- وله غاية الغرض في معالجة الأمراض (كذا كتبها بروكلمان)، وأضاف: وهو بالأصل باللغة الفارسية بعنوان «المَنهَج» ترجمه منصور الحسني، في مكتبة برلين برقم ٦٢٨٨).

وأضاف زهير حميدان في «أعلام الحضارة» على هذه المؤلفات ما ذكره بروكلمان وفهارس المكتبات:

٩- كتاب الباه مما وصفه الفلاسفة والحكماء لساداتها، نقله من اليونانية إلى العربية.

١٠- مقالة في كيفية تركيب طبقات العين.

١١- كتاب في الطب.

١٢- الإرشاد في الطب النافع لجميع الأمراض.

١٣- أطعمة المرضى.

١٤- قوانين تركيب الأدوية القلبية.

١٥- المعاجين والأشربة.

١٦- كتاب الأدوية المفردة المستعملة وذكر خواصها.

١٧- الأدوية المسهلة.

١٨- أبدال الأدوية التي وردت في كتاب الأدوية المفردة.

١٩- متن أدب البحث.

٢٠- نوادر الحكمة.

الشريف منصور الحسيني الحسني

(كان حياً سنة ١٠٨٥هـ)

لم تذكر المصادر أي ترجمة لهذا الطبيب العلم، بل إن المعلومات التي استقيناها عنه هي من مخطوطه «غاية الغرض في معالجة المرض» حيث ذكر اسمه في فاتحة المخطوط بهذا الشكل: الشريف منصور الحسيني الحسني. أما العصر الذي عاش فيه فكان اعتماداً على ما ذكر في نهاية مخطوط نسخة الأزهرية، حيث ذكر فيه أن هذا الكتاب تم تأليفه سنة ١٠٨٥هـ.

عائلة منصور الحسيني:

إن هذه العائلة تتمتع بعراقة في الطب وفي علم الحديث، فمن خلال البحث توصلنا

إلى مصطفى بن منصور الطبيب (ولعله ابن المترجَم)، ومنصور بن مصطفى بن منصور المحدث (ولعلــه حفيد المترجَم)، وسنورد ما وجدنا من قرائن، وهي لشمول البحث وليس لتأكيد النسب: [٤]

أولاً: مصطفى بن منصور الطبيب

(١١١٥- بعــد ١١٤٥هــ/١٧٠٣- بعد ١٧٣٢م) لم يترجمــه إلا الشيخ راغب الطباخ في «إعلام النبلاء» بقوله:

ومصطفــى بــن منصــور الطبيب كان حاذقاً مصيبــاً ذكياً جداً، قــرأ على العالم الفاضل الشيخ قاسم البَكَرجي[٥] وعلى العالم الكامل علــي الميقاتي[٦]، **وقرأ علــى والده فريد عصره علــم الطب**، وألّف «رسالة في علم النبض». خرج مصطفى بن منصور من الشهباء سنــة ١١٤٥هـ وهو في الثلاثين من العمر، ودخل دار الخلافة في إستانبول،.... وله رحلة ذكر فيهــا من لقي في طريقه من الأفاضــل والأدبــاء، ولم يلبــث إلا قليلاً في إستانبول حتى انتقل إلى رحمة الله مطعوناً، فرحمه الله تعالى.

فلا يستبعد إذاً أن يكون هو ابن الطبيب الشريف منصور الحسيني الحسني، فالاسم والفترة الزمنية مطابقة، والله أعلم.

ثانيــاً: منصــور بــن مصطفــى بــن منصور بــن صالح زين الدين، السرميني الحسينــي الحسنــي الحلبــي[٧]، الخلوتي النقشبندي المحدِّث، الذي ولد بسرمين سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م، ثم ارتحل بين حماة ومصر وحلب ودمشق، وهو صاحب «كشف الستور المسدلة عن أوجه أسرار البسملة»، و«كشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور»، وتوفي سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ودفن بمدرسته التي بناها في حلب بمحلة الفرافرة.

كذلــك هنا الاســم والفــترة الزمنية لا تتعارض أن يكون هــو حفيد المترجَم، والله أعلم.

ثالثــاً: ذكــر أمين المحبــي في خلاصة الأثر، وفي نفحة الريحانة، في ترجمة والده فضل الله المحبي (١٠٣١- ١٠٨٢هـ/١٦٢١-١٦٧١م).[٨]

ففي «خلاصــة الأثر» يقول: ومن رسالة له أرسلها إلى منصور الطبيب العيسوي، أما في «الريحانــة» فيقول: وله رسالة كتبها إلى منصور الطبيب الغزواني[٩]، يشكو إليه علة لزمته وبرداً وقــع في ذلك العام خارجاً عن معتاد أهل الشام:

أنــا أصبحــتُ لا أطيــق حــراكــاً
كيـف أصبحـتَ أنـتَ يـا منصـورُ

قد طالت العلــة، وطابت العزلة، فليس في الحركة هــذا الآن بركة، والانقطاع أربح متاع، والاجتماع جالب الصداع.....

ولعل هنا أيضاً يكون المترجم منصور الحسيني من معاصري فضل الله المحبي، وأن المقصود في الرسالة هو ذاته، فالاسم والفترة الزمنية متوافقة أيضاً، والله أعلم.

النتيجة: للمحقق في حال كهذه أن يأخذ بظاهر ما في النسخة الخطية، ويهمل سائر الأقوال والقرائن فلا يدخلها في الاعتبار، ويتحفظ في ذكرها لشمول البحث فحسب. فإذا فعلنا كان مصدر ترجمة الشريف منصور الحسيني الأصيل هو المخطوطة عينها.

حياته: نستنتج من المخطوط أن حياة الطبيب منصور الحسيني كانت أكثرها في مصر، حيث تكرر في المخطوط ذكر القاهرة أو ما يدل على أنه كان يعيش فيها حين ترجمته للمخطوط، فمن ذلك قوله:

- في فاتحة الكتاب وفي نسخة دار الكتب (١٣٢) بالقاهرة يقول فيها بأن ترجمة هذا الكتاب كانت بأمر من: الأمير مجد الدين القاهرة، الذي لم نتوصل إلى شخصه بالتأكيد أيضاً.

- في الباب التاسع والثلاثين يذكر نوعاً من الجبن يقول عنه: (المسمى في هذه البلاد بمش...) وهي كلمة مصرية.

- استخدم كثيراً كلمة السنانير، وهي تطلق في مصر على الأملح، ينظر الباب الخامس.

- استخدم كلمة «الماجور» وهي كلمة محلية مستخدمة في صعيد مصر، بمعنى «وعاء» أو «قدر». في الباب التاسع والعشرين.

نسبة المخطوط إلى مؤلفه

إن عنوان المخطوط ذكر في ثلاث نسخ خطية وهي نسخة برلين، ونسخة مكتبة الإسكندرية، ونسخة الأزهرية، وكان العنوان فيها «**غاية الغرض في معالجة المرض**» للشريف منصور الحسيني الحسني، أما النسختان في دار الكتب بالقاهرة فلم يذكر فيهما عنوان «غاية الغرض...» بل بقيتا على عنوان الكتاب الأساسي قبل ترجمته باسم «المنهج» لنجيب الدين، ولكن المحتوى ذاته.

إن ما يرجح كون الشريف منصور الحسيني قد عاش في نهاية القرن الحادي عشر الهجري عدة أمور منها:

- إن النسخ التي بين أيدينا هي مؤرخة بعد هذا التاريخ وهي: نسخة الإسكندرية المؤرخة سنة ١٢٠٣هـ، ونسخة دار الكتب بالقاهرة ١٣٢ نسخت سنة ١٢٤٨هـ، نسخة دار الكتب ١٣٩٧ لا يوجد فيها تاريخ النسخ ولكن يتبعها نسخة من كتاب (مغني اللبيب

حيث لا يوجد طبيب) لإبراهيم الأزرقي وهي منسوخة سنة ١١٨٠هـ، ونسخة مكتبة برلين مؤرخة سنة ١٢٠٩هـ. والأهم من ذلك كله نسخة المكتبة الأزهرية كما ذكرنا أكدت تاريخ تأليف الكتاب سنة ١٠٨٥هـ.

- إن المؤلف أضاف الكثير من المعالجات على المخطوط الأساسي الذي ترجم عنه، وهذا طبيعي لأن المؤلف الذي ترجم هو طبيب وأَمَرَه الأمير مجد الدين (الذي لم نتوصل إلى ترجمة له) في القاهرة لترجمة هذا الكتاب، فترجمه وشرحه وأوضح خفاياه كما قال في المقدمة، ونحن لاحظنا أنه أضاف الكثير من خبرته فيه، وهذا كان واضحاً من خلال قوله في العديد من المواضع: وقد جربنا ذلك.... وهذا ما جربناه....

وأهم تلك الإضافات والتي ثبتت في كل النسخ هو ما جاء في الباب الثامن والخمسين: **دهن لحب الإفرنجي**، ونحن نعلم أن الحب الإفرنجي لم يكن معروفاً قبل عهد داود الأنطاكي (توفي ١٠٠٨هـ) الذي ذكره لأول مرة في كتابه «نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان» ثم في «النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة» وأخيراً في تذكرته «تذكرة داود»، وهذا ما يرجح أن مؤلف «غاية الغرض...» كان بعد الأنطاكي.

- لقد نسب المخطوط خطأً في بعض المراجع إلى غير مؤلفه، يستحسن أن نذكرها:

- جاء في إيضاح المكنون للبغدادي ج٢ ص٩٩: غاية الغرض في معالجة المرض للشريف منصور بن أحمد الحسيني الحسني صاحب «عمدة المتطببين» أولها الحمد لله الذي إذا مرضت فهو يشفين... إلخ. في مجلد. وذكر في الكتاب ذاته (ج٢ ص٨٧) عمدة المتطببين في فن الصيدلة المعروف بالأقرباذين تأليف منصور بن أحمد المصري الحسيني المتوفى سنة.... أولها الحمد لله مدبر الكائنات... إلخ في مجلد مطبوع.[١٠]

أما منصور بن أحمد هذا فكان حياً سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، وهو كيماوي صيدلي من أهل مصر، درّس بالمدرسة الطبية ومدرسة الهندسة، من آثاره: عمدة المتطببين في فن الصيدلة المعروف بالأقرباذين طبعت ببولاق سنة ١٢٨٣هـ في حياة المؤلف في مجلدين، وله اللآلئ السنية في الفوائد الكيماوية، وغاية الغرض في معالجة المرض. كذا ذكره كحالة في معجم المؤلفين، وحميدان في أعلام الحضارة، اعتماداً على ما جاء في فهرس البلدية بالإسكندرية والله أعلم.[١١]

بالطبع يستبعد أن يكون كتاب غاية الغرض لهذا المؤلف لأن أكثر النسخ مؤرخة

قبلـه؛ فمثـلاً نسخـة مكتبـة الإسكندرية مؤرخة سنة ١٢٠٢هـ وناسخها عبد الرحيم القفاوي. والأهم مـن ذلك أيضاً كما ذكرنا أن تأليف الكتاب كان سنة ١٠٨٥هـ كما ثبت في نسخة الأزهريـة. كما ويستبعد أن يكون منصور هذا في العصر الحديث ويضع كتاباً يتحدث عن صناعة الجوارش وما أشبهه من مركبات الطب القديم.

هناك أيضاً الشريف منصور (توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م): منصور بـن ناصر بن محمد الحسني التهامـي أمير صَبيا وكانت تابعة لأبي عريش، وفي أيامه استولى آل سعود علـى صَبيا فرحل إلى الشمال سنة ١٢٣٠هـ مغاضباً عمه ودخل في طاعة الأتراك بمكة وعـاد مع جيش منهم لقتال عمـه فانهزم الأتراك وقتل الشريف منصور.[١٢]

ونستبعد أن يكـون هذا أيضاً له علاقة بالكتـاب، للأسباب السابقة الذكر وهي أنه هناك نسخ خطية للكتاب قبل هذا التاريخ، والأهـم طبعـاً أن تأليف الكتـاب كان سنة ١٠٨٥هـ، والسبب الآخر أن الشريف منصور هذا لا علاقة له بالطب. وإنما ذكرناه هنا لأن نسخة دار الكتب ١٣٢ المؤرخة ١٢٤٨هـ جاء في مقدمتها: «... يقول العبد الضعيف.... شريف بن ناصر الحسني الحسيني...» وهو خطأ من الناسخ والله أعلم.

النسخ الخطية لكتاب غاية الغرض في معالجة المرض

إن النسـخ الخطية لهـذا الكتاب التي استطعنا أن نتوصـل إليها والحصول عليها كانت خمس نسخ:

١- نسخـة مكتبـة الإسكندريـة، برقم ٤٧٧٥، (٣٦ ورقة)، غاية الغرض في معالجة المرض، النسخـة مؤرخة سنة ١٢٠٢هـ على يد عبد الرحيم حمد طايع القفاوي.

٢- نسخـة دار الكتـب بالقاهرة برقم ١٣٩٧ طـب، مصـورة علـى شريط بمعهد التراث بحلب تحت رقم (١٠٥٠)، (٢٦ ورقة) بعنـوان «غاية الغرضـ في معالجة المرض» ذكـرت في فهرسـ الخديويـة[١٣]. يحتمل نسخـت سنـة ١١٨٠هـ، وقـد نوهنا لذلك سابقاً. وهـي مفهرسة باسم «المنهج» للشيخ نجيب الدين ونقله للعربية الشريف منصور الحسيني الحسني.

٣- نسخة أخرى برقم ١٣٢طب- ف٤٤٠، مصـورة على شريط بمعهـد التراث بحلب تحـت رقـم (١٠٥١)، (٥١ ورقـة)، مؤرخة سنة ١٢٤٨هـ على يد صاحب الكتاب، ولعله مالك الكتاب.

٤- نسخة مكتبة برلين برقم ٦٢٨٨، (٥٠ ورقة)، كتاب غاية الغرض في معالجة المرض لمنصور الحسينـي السيد الشريف، النسخة

مؤرخة سنة ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م، الناسخ محمد بن الشيخ مصطفى الكفتاني.[١٤]

٥- نسخة المكتبة الأزهرية برقم (٣١٨ مجاميع) ١٠٢٩٥، (٢٤ ورقة)، بعنوان «كتاب غاية الغرض في معالجة المرض وما يتعلق بالبدن من الأمراض» تأليف الشيخ منصور الحسيني الحسني، من ورقة ١-٢٦، وفي نهايتها ذكر تاريخ تأليف الكتاب سنة ١٠٨٥هـ.[١٥]

يحتوي المجموع أيضاً على عدة مخطوطات منها: «الوقف والابتداء» لم يعرف مؤلفها، برقم (٣١٨ مجاميع) ١٠٢٩٥، من ورقة ٨٨-٩٤. و«ذخر المتأهلين والنساء في تعريف الأطهار والدماء» لزين الدين محمد بن بير علي، وهذا المخطوط ضمن هذه المجموعة التي كتب بعضها سنة ١٢٧٨هـ، برقم (٣١٨ مجاميع) ١٠٢٩٥، من ورقة ٦٩-٧٧. وفي المجموع أيضاً مخطوط «حاشية حجازي»- وهو العلاّمة حجازي بن عبد المطلب العدوي المالكي من علماء القرن الثالث عشر الهجري- على شرح الدردير على رسالته (تحفة الإخوان)، أولها: نحمدك يا من تعالى عن التشبيه والتمثيل...إلخ، نسخة ضمن مجموعة في مجلد بقلم معتاد، سنة ١٢٧٨هـ مسطرتها ٢٥ سطراً (من ورقة ٤٧-٦٨) - ٢٤ سم.[١٦]

توصيف الكتاب

الكتاب كما ذكرنا عنوانه بالأصل «المنهج» لنجيب الدين السمرقندي، ترجم من قبل الشريف منصور الحسيني تحت عنوان «غاية الغرض في معالجة المرض»، وكانت ترجمته بناء على طلب الأمير مجد الدين في القاهرة.

يبدأ الكتاب بالفاتحة، بعد البسملة والحمد، والتي يقول فيها:

«... أما بعد فيقول العبد الضعيف... الشريف منصور الحسيني الحسني: لمّا كانت طاعة أولي الأمر واجبة... وأمرني الأمير المطاع... مولانا الأمير مجد الدين... بتعريب كتاب في الطب بلسان أعجمي، المسمى «بالمنهج»، أن أترجم عنه بكلام عربي غير ذي عوج، فأطعته».

ثم يتابع منصور الحسيني في الفاتحة قوله مبيناً ما قام بعمله في هذا الكتاب؛ فهو لم يترجمه فحسب بل شرح ما فيه، وأوضح الغامض منه بقوله:

«وشرعت فيه مريداً أن أشرح ما فيه، وإن قصر الجهد عما يوافيه، وأكشف عن وجوه المخدورات نقابها، وأبرز ما اختفي من الأسرار وأذلل صعابها، لتظهر خباياه، وتشهر خفاياه، فيهتدي إليه كل هاد ...».

ثم يتحدث الحسيني عن شرف الطب والمؤلفات التي صنفت فيه، ويقول:

«وفيه مصنفات كثيرة ومؤلفات عديدة غزيرة، ومن جملة ما صنف فيه كتاب «المنهج» للشيخ الإمام... نجيب الدين، تغمده الله بغفرانه...».

وفي نهاية الفاتحة يصف السرميني هذا الكتاب بقوله:

«... وهو كتاب مبوب بحسب **الأمراض والأغراض** والأدوية التي تناسبه، وجعله عدة أبواب، فمنها ...».

وهنا نلحظ أنه اختار من هذه الأبواب إحدى وستين باباً، ثم أتبعها بخاتمة تضم أقوال بعض القدماء أمثال سقراط، والشريف إسماعيل الجرجاني الخوارزمشاهي، والرازي.

ينقسم الكتاب إلى قسمين: الأول يضم ٤٧ باباً في معالجة أمراض الجسم كلها مبتدئاً بأمراض الرأس ثم العين والأذن... إلخ، حيث يذكر اسم المرض فقط والعلاج المناسب له، دون ذكر أسبابه أو أعراضه أو علاماته، وهو ما يشبه الكتب التي تدعى حاليا «بدليل المعالج»، والقسم الثاني: من الباب الثامن والأربعين حتى الحادي والستين يتحدث فيه عن الأدوية المركبة: الترياقات والبادزهرات، والمعاجين، والأقراص... إلخ، وينهي بخاتمة فيها أقوال بعض المتقدمين كما ذكرنا.

أهمية الكتاب العلمية والتاريخية

أولاً- ترجم الكتاب من الفارسية إلى العربية بعد فترة زمنية طويلة بين تأليفه وترجمته التي تمتد إلى حوالي خمسمئة عام، فهذه القفزة الزمنية الطويلة تثير تساؤلات كثيرة؟؟

ثانياً- لقد ترجم الكتاب بأمر من أحد الأمراء، الأمير مجد الدين، الذي لم نتوصل إلى ترجمته، وهذا ما يزيد في أهمية الكتاب والاهتمام به.

ثالثاً- لعل كتاب «المنهج» هو الوحيد الذي كان بلغة غير العربية لنجيب الدين السمرقندي، والذي يعتبر من مشاهير الأطباء في عهد الحضارة العربية الإسلامية.

رابعاً- إن مخطوط «غاية الغرض...» أظهر لنا علماً من أعلام الطب العربي كنا نجهله، كغيره من الكثيرين الذين ما زالوا مجهولين من قبلنا، وهو الشريف منصور الحسيني.

خامساً- يبدو لنا من خلال المخطوط أن منصور الحسيني كان من الأطباء المشهورين في عصره، فلقد أضاف إلى الكتاب الكثير من خبراته الطبية والكثير من الأدوية المركبة، سوف نستعرض بعضها لاحقاً.

سادساً- غناه بالمعلومات الطبية والأدوية المركبة الفريدة، والتي سوف نذكر بعضها لاحقاً.

سابعاً- ولأهمية الكتاب فلقد كان له عدة نسخ خطية موزعة في المكتبات العربية والأجنبية، أحصينا خمساً منها.

مقتطفات من الكتاب

- التفريق بين الإسهال الحقيقي، وبين الإسهال الكاذب، حيث يقول في الباب الستين، في الحديث عن أحد الأدوية المقبضة للإسهال: «... ولكن لا يستعمل إلا لثلاثة أيام تمضي من الإسهال، حتى يعرف أن الإسهال صادق أو كاذب، وطريقة معرفته أن يسقى المستسهل بزر قَطُونا بالماء البارد، فإن خرج من الدبر مع الإسهال، يكون الإسهال صادقاً، وجب قطعه، وإن لم يخرج البزر قطونا، يكون الإسهال كاذباً، فلا يجوز قبضه، فإنه يورث الحمى أو مرضاً يكون أكبر ضرراً من الإسهال».

- معالجة الجروح باللصقات أو بالفتيلة حسب نوع الجرح، فيقول في الباب الحادي والستين في الحديث عن مرهم للجراحات الخبيثة: «... يستعمل في وقت الضرورة فتيلة واحدة على قدر الجراحات؛ إن كانت غائرة بطريقة الفتيلة، وإن كانت ظاهرة بطريقة اللصقة...».

- طريقة معالجة ضعف الشم بالرذاذ الأنفي، حيث يقول في الباب الرابع: «... أو يؤخذ من الحبة السوداء كل يوم مقدار درهم، تدق وتنخل، وتنفخ على الخشم (الخيشوم وهو أقصى الأنف) في قصبة».

- كان المؤلف يستند في الكثير من الأحيان على حجج من السنة النبوية في الكتاب، منها ما جاء في الباب الخامس والثلاثين، في الحديث عن مرض عرق النَّسا بقوله: «... والنَّسا في اللغة العرق نفسه، وفي الاصطلاح هذا المجموع اسم لذلك المرض الذي ذكرته، وصححه الحديث، وهو ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: شفاء عرق النَّسا في ألية شاة أعرابية، تذاب ثم تجزأ ...». وفي الباب السابع عشر وفي الحديث عن مرض الاستسقاء يقول في معالجته بلبن الإبل وبولها: «... كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن أناساً من عُرَيْنة قدموا المدينة فاجتووها[١٧]، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم في إبل الصدقة، وقال اشربوا من ألبانها وأبوالها».

- جاء في الكتاب الكثير من الأدوية المركبة، ولعل منها لم يذكر في غيره من الكتب، منها: حب النبات، دهن الثوم والبصل،

المرهم الكافوري، جوارش المصطكي... وغيرها.

- ومن المعالجات النادرة التي وجدت في الكتاب مثلاً: معالجة اليرقان بالحيتان، حيث يقول في الباب السادس عشر: «... أو يأخذ حيتاناً صغاراً ثلاثة، ويبلعها بلا طبخ، والله أعلم». وكذلك أيضاً معالجة القوباء (وهي الحزاز حالياً) بوسخ الأسنان، حيث يقول في الباب الثامن والثلاثين: «يؤخذ على الريق من وسخ الأسنان ويمسح بها الموضع».

- كان الحسيني يستخدم الكثير من المعالجات التي وجدها في هذا الكتاب، فجربها على المرضى، حيث تكرر في الكتاب عبارات: «أنا بحمد الله وتوفيقه أعالج أكثر الأمراض بذلك المعجون... والذي جربته مراراً متعددة... ولقد جربته تجربة تامة... وهذه العلاجات جربناها مراراً... وقد جربناه غير مرة...».

- من الإضافات التي وضعها الحسيني على الكتاب مثلاً ما جاء في الباب الخامس قوله في تركيب الإطريفل: «... وجعل له صفة أخرى في منهاج الدكان غير هذه، ونصه...». ومعلوم أن منهاج الدكان صنفه ابن أبي نصر سنة ٦٥٨هـ أي بعد وفاة نجيب الدين السمرقندي.

- ومن الإضافات المهمة أيضاً لمنصور الحسيني ما جاء في الباب الثامن والخمسين، وهو دهن **للحب الإفرنجي**، والداء الإفرنجي لم يكن معروفاً في عهد نجيب الدين السمرقندي، بل أول من ذكره داود الأنطاكي (توفي ١٠٠٨هـ)، وهذا مما يزيد احتمال كون الحسيني كان من أهل القرن الحادي عشر الهجري، وهو يقول في هذا الموضع: «وهذه العلاجات جربناها مراراً فما تخلفت قط، ولبسنا عليها خلعاً كثيرة من السلاطين والأمراء، ولا فخر».

خاتمة

إن تمازج الحضارات كان وما زال عمدة الارتقاء بالبشرية إلى ما هو أفضل، والتأثير والتأثر فيما بينها يبقى موئل كل باحث وكل عالم في المعمورة، ما دام الهدف والغاية دائماً هو الإنسان وسلامته وتأمين أفضل حياة أمينة له. وقد سبقنا أجدادنا الأعلام في توطيد تلك العلاقة السامية ما بين العلماء، وللأسف فما نزال نجهل الكثير من هؤلاء الأعلام ومخطوطاتهم، لذا يترتب علينا أن نبحث في مخزون المخطوطات العربية دائماً، لأن فيها الكثير الكثير مما لم يكتشف بعد، ولا يمكننا معرفته من خلال ما تحدث عنه المؤرخون فقط، بل يجب علينا أن نتوجه إلى هذا المخزون الحضاري الزاخر، لأن فيه

غايتنا ومبتغانا مما قد نجهله، ولانتوصل إليه إلا من خلال دراسة المخطوطات المتناثرة هنا وهناك في بقاع الأرض، والله الموفق.

الهوامش

١- أخذت ترجمته عن المصادر والمراجع التالية: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص٤٧٢. الصفدي، الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨٤. الحموي، معجم البلدان ج٥ ص٣٩٦. الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات ٦١١-٦٢٠هـ ص٤٢٥. البغدادي، هدية العارفين ج٢، ص٨٨. الزركلي، الأعلام ج٦، ص٢٨٠. كحالة، معجم المؤلفين ج٣ ص٥٢٤. حميدان، أعلام الحضارة ج٤ ص٢٦٦.

٢- هو الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازي، ويدعى بابن خطيب الري (٥٤٤-٦٠٦هـ). ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص ٤٦٢. حميدان، أعلام الحضارة ج٤ ص٢٧٨. الزركلي، الأعلام، ج٦ ص٣١٢.

٣- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص٤٧٢. البغدادي، هدية العارفين ج٢ ص٨٨. الزركلي، الأعلام، ج٦ ص٢٨٠. Brockelman ١: ٦٤٦. أعيان الشيعة، جلد ١٠. حميدان، أعلام الحضارة، ج٤، ص٢٦٧.

٤- الطباخ: إعلام النبلاء ج ٦ص ٤٥٠، ج٧، ص١٣٨. الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٠٤. كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٩٢٠. البغدادي: هدية العارفين ج ٢، ص٣٦٩. المحبي: خلاصة الأثر ج٣، ص٢٨٥. المحبي: نفحة الريحانة ج ٢ ص ٢١٣. المرادي: سلك الدرر ج ٣، ص١٩٤. مردم بك: أعيان القرن الثالث عشر ص ٣٣، وفيه ولادة منصور السرميني سنة ١١٣٤هـ. كيالي: تاريخ الطب في حلب ص١٣٤ وما بعد.

٥- قاسم البكرجي (١٠٩٤-١١٦٩ هـ) (١٦٨٣- ١٧٥٦ م)

قاسم بن محمد الحلبي، الحنفي، عالم أديب ولد بحلب. من آثاره: العيون الغمزية والإرشادات الرمزية على القصيدة الهمزية للبوصيري، الفوائد البكرجية على القصيدة الخزرجية في العروض، حلية البديع في مدح النبي الشفيع والمطلع البدري على بديعية البكري. (الزركي: الأعلام ج٥ ص ١٨٣).

٦- علي الميقاتي (١١٠٤- ١١٧٤هـ/ ١٦٩٢- ١٧٦٠م)، علي بن مصطفى الدباغ، المعروف بالميقاتي: فاضل من أهل حلب، له «شرح البخاري» و«حاشية على شرح الدلائل للفاسي» وله نظم ونثر. (المرادي: سلك الدرر ج٣ ص٢٤٨-٢٦٠. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٢).

٧- الطباخ، إعلام النبلاء، ج٧ ص١٣٨، ١٤٠. المرادي، سلك الدرر ص٣٣. البغدادي، هدية العارفين ج٢، ص٣٦٩ وفيه اسمه السيد منصور بن عبد الله السرميني.

٨- المحبي: خلاصة الأثر ج٣ ص٢٨٥. المحبي: نفحة الريحانة ج٢، ص٢١٣.

٩- حاشية في نفحة الريحانة تقول: الغزواني: في نسخة القرواني، وجاء اسمه في خلاصة الأثر (منصور العيسوي) ولم يترجم فيها.

١٠- البغدادي، إيضاح المكنون (ج٢ ص٨٧، ٩٩).

١١- كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٩١٢. حميدان، أعلام الحضارة ج٦ ص٣٠٤.

١٢- الزركي، الأعلام، ج٧، ص٣٠٥.

١٣- فهرس الكتبخانة الخديوية ج٦ ص٢٥. الطهراني، الذريعة، ج١٦ ص ١٤ رقم ٥٤.

14- Ahlwardt catalogue p: 552.

١٥- فهرس المكتبة الأزهرية، ج٦، ص١٢٤.

١٦- فهرس المكتبة الأزهرية ج١، ص١٣٥، ج٢ ص٢٦، ج٤، ص٣٦٥.

١٧- أي اجتووا المدينة: كرهوا المقام فيها لسقم أصابهم من الجوي؛ وهو داء في الجوف، (ينظر الطب النبوي لابن قيم الجوزية ص ١٥٢، وينظر قاموس الأطبا للقوصوني ج٢ ص ٢٢٢).

المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن أبي نصر، أبو المنى العطار الإسرائيلي الهاروني، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، طبع سنة ١٢٨٧هـ في عهد الخديوي إسماعيل، على ذمة الشيخ حسن زغلة، بمطبعة حسين بك حسني.
- الأمين، حسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات- بيروت ١٩٨٦م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٦ مجلدات، دار الفكر، بيروت- لبنان ١٩٩٢م. المجلدان الثالث والرابع هما (إيضاح المكنون للبغدادي)، والمجلدان الخامس والسادس هما (هدية العارفين أسماء المؤلفين للبغدادي).
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ٧ مجلدات.
- حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٥م، ٦مجلدات.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ١٩٩٣م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الرابعة عشرة ١٩٩٩م، دار العلم للملايين بيروت. ٩ مجلدات.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، الطبعة الثانية باعتناء محمد الحجيري، دار صادر بيروت ١٩٩١م.

- الطباخ، محمد راغب: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه محمد كمال، دار القلم العربي بحلب ١٩٨٨م.

- الطهراني، أقابرزك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء.

- فهرس الكتبخانة الخديوية، طبعة مصر ١٣٠٨هـ.

- فهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية.

- القوصوني، مدين بن عبد الرحمن، قاموس الأطبا وناموس الألبّا، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، أوفست دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م. من جزأين.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: الطب النبوي، توثيق عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة- دمشق وبيروت ٢٠٠٠م.

- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢م.

- كيالي، طه إسحق: تاريخ الطب والأطباء في حلب.

- المحبي، محمد أمين (١٠٦١ - ١١١١ هـ) بن فضل الله بن محبّ الله بن محمد محبّ الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود المحبي الحموي الأصل، الدمشقي المولد والدار، الحنفي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ أجزاء، دار صادر- بيروت.

- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٨م.

- المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار صادر - بيروت ٢٠٠١م، ٤ مجلدات.

- مردم بك، خليل: أعيان القرن الثالث عشر، لجنة التراث العربي، بيروت- لبنان ١٩٧١م.

- AHLWARDT (W.), verzeichniss der Arabischen Handschriften der koniglichen Bibliothek zu Berlin, A. Asher & C, Berlin 1893.

- Carl Brockelmann, Arabischen Litterature, Leiden 1943.

